جامعة تكريت

كلية التربية للبنات

قسم التاريخ

المرحلة : الرابعة

المادة: تاريخ البلاد العربية المعاصر

عنوان المحاضرة : الغزو الفرنسي لمصر ١٧٩٨

أسم التدريسي : ا.م د. رؤى جمال خضر

الإيميل الجامعي للتدريسي : ruaa.j.k@tu.edu.iq

الغزو الفرنسي لمصر ١٧٩٨

نشبت الثورة الفرنسية في ١٤ تموز ١٧٨٩ ووضعت الطبقة البرجوازية التي قادت الثورة ضد الأقطاع والنظام الملكي أسس الحكم الجديد في فرنسا ، وخاضت من أجل ذلك معارك داخلية وخارجية مع أعداء مختلفين. ثم سرعان ما اتجهت لضرب القوى الشعبية التي خاضت المعركة بجانبها ضد الأقطاع والملكية . وأخذت تعمل لتحقيق مصالحها الاقتصادية والسياسية . وكان غزو مصر سنة ١٧٩٨ جزءا من خطة واسعة لضرب المصالح السياسية والاقتصادية لبريطانيا والسيطرة على طريق الهند وتاسيس أمبراطورية فرنسية في الشرق لم تكن فكرة غزو الفرنسيين لمصر جديدة ، بل أنها ترجع إلى أيام الحروب الصليبية وحملة ملكهم لويس التاسع عليها في منتصف القرن الثالث عشر . وكان الصراع الأستعماري بين فرنسا وبريطانيا من العوامل الرئيسة في توجيه أنظار الحكومة الفرنسية لغزو مصر . وقد ظهرت في الدوائر السياسية الفرنسية وجهتا نظر بصدد غزو مصر، الأولى تعارض المشروع والثانية تعضده . فالحكومة الفرنسية كانت ترى أن ضرب انكلترا عدوة فرنسا آنذاك يجب ان يكون بتوجيه ضربة مباشرة الى الجزر البريطانية مباشرة. أما وجهة النظر الثانية المؤيدة لمشروع الغزو فابرز في تمثلها الجنرال نابليون بونابرت الذي ذاع صيته بعد أحرازه انتصارات عسكرية في ايطاليا سنة ١٧٩٧ والمسيو تاليران Talleyrand وزير الخارجية الفرنسية . وقد استطاع الجنرال بونابرت أقناع الحكومة الفرنسية بأن تكاليف الحملة على مصر أقل من تكاليف الحملة على الجزر البريطانية ، وأن نتائج الحملة مضمونة اذ أن أحتلال مصر سيعوض فرنسا عما فقدته من مستعمرات في الهند وأمريكا. وأن تحويل التجارة العالمية الى مصر بشق قناة بين البحرين الأحمر والمتوسط سيفقد بريطانيا أحتكارها لطريق رأس الرجاء الصالح وسيقضي على التجارة البريطانية حيث أن الطريق العالمي عبر مصر بعد شق القناة سيغري الدول بأستخدامه لأنه أقل كلفة وأقصر مسافةعنيت الحكومة الفرنسية الجنرال بونابرت قائداً لما عرف ب ، جيش الشرق ، في ١٢ نيسان ١٧٩٨ وابحرت الحملة من ميناء طولون في جنوب فرنسا في ١٩ ايار سنة ١٧٩٨ وكانت مؤلفة من (٤٠,٠٠٠ (جندي وما لزمهم من الخيول والمدافع ورافقها (١٤٦) عالماً وفناناً وجغرافيا وفلكياً وجيولوجياً وطبيباً فضلاً عن مختبراتهم وادواتهم العلمية. وكان معظمهم من اعضاء المجمع العلمي الفرنسي . وفي اول تموز ١٧٥٨ بدا انزال الجيش الفرنسي بالقرب من الاسكندرية . وبعد مقاومة عنيفة من سكانها ، استطاع بونابرت دخول المدينة . وقد فقد الفرنسيون في معارك المقاومة المصرية قرابة مائة وعشرين قتيلاً وجريحاً . اما رجال المقاومة بقيادة السيد محمد كريم محافظ الاسكندرية ، فقد خسروا ما بين سبعمائة وثمانمائة بين قتيل وجريح . ثم واصل بونابرت زحفه نحو القاهرة .

وواجه جيشه صعوبات جمة لشدة الحروقلة الماء والغذاء، وكان انباء العشائر العربية المنتشرة على الطريق بين الاسكندرية والقاهرة يتعقبون الجنود الفرنسيين ويغيرون عليهم . وبالقرب من اهرام الجيزة وفي موقع غير بعيد عن القاهرة حدثت المعركة الفاصلة وهي معركة الاهرام . وفيها اصطدم النظام العسكري المملوكي المتخلف بالنظام العسكري الفرنسي الحديث ، وانكشف امر المماليك فلم يصمدوا طويلا ، اذ اضطروا إلى الاستسلام فدخل الفرنسيون القاهرة في ٢١ تموز سنة ١٧٩٨ .

وزع بونابرت منذ اول يوم لنزول قواته ارض مصر منشوراً باللغة العربية اقترنت فيه وبشكل غريب افكار الثورة الفرنسية في الحرية والاخاء والمساواة مع تهديدات المحتل الغاصب ولكن بونابرت شعر بانه على ارض معادية ، اذ تفجرت ثورة القاهرة الأولى ضيه . وكان من اسباب الثورة تذمر المصريين من اجراءات الفرنسيين المالية ، اذ اراد بونابرت استغلال مصر لا عالة جيشه وتموينه خاصة بعد ان قطع الاسطول البريطاني بقيادة (نلسون) المواصلات بينه وبين فرنسا ، لذلك عمد الى تحصيل الاموال بمختلف الوسائل . وصار الجامع الأزهر ، ميدانه من ميادين الثورة ضد الغزاة فاسرع بونابرت في اتخاذ الاجراءات الكفيلة باخماد الثورة وامر جنوده باطلاق الرصاص على الثوار ، وضرب الجامع الأزهر بالمدافع . واستشهد الآلاف من السكان تحت انقاض دورهم . وقد ارسل بونابرت حملات عسكرية لحرق القرى الثائرة في منطقة الدلتا .

قرر بونابرت غزو سوريا ، بعد ان علم بتحرك الجيوش العثمانية نحو مصر في شباط ١٧٩٩ وكان يهدف من وراء حملته الى الا الشام احراج موقف الاسطول البريطاني في البحر المتوسط ، والحيلولة دون حصوله على المؤن والتجهيزات من الموانيء السورية . وقد سقطت العريش والرملة وغزة ويافا بيده ، وفي اذار ضرب الحصار حول عكا ، لمدة ثلاثة شهور ثم اضطر الى الانسحاب امام حصونها المنيعة ومقاومة أهلها الباسلة ، فضلاً عن المقاومة التي أبدتها الحامية التركية بقيادة احمد باشا الجزار ومساعده الاسطول البريطاني له وتفشي الطاعون في جيش بونابرت . وبعد عودته الى مصر قرر مغادرتها إلى فرنسا بعد ان سمع بسخط الجيش وفشل الحكومة في مواجهة الاضطرابات الداخلية ، وتألب القوى الأوربية عليها . وقد ترك بونابرت للجنرال كليبر امور قيادة الحملة في مصر.

واجه الجنرال كليبر سنة ١٧٩٩ ثورة جديدة في القاهرة اطلق عليها المؤرخون ثورة القاهرة الثانية . لكن كليبر قاوم الثورة بقسوة شديدة ، فطوق القاهرة وقصفها بالمدفعية وعمد الى احترام النار في الاحياء الثائرة.

ومهما يكن ، فقد شعر كليبر بعدم قدرته على البناء في ارض مصر ، فبعث برسالة الى الحكومة العثمانية طالباً فيها انهاء الحرب بين الدولتين ، فبدأت المفاوضات الفرنسية العثمانية وانتهت بعقد معاهدة العريش في كانون الثاني سنة ١٨٠٠ وبموجبها جلا الفرنسيون عن مصر . وقد ساعد على ذلك الصلح بين بريطانيا وفرنسا المعروف بصلح اميان في ٢٧ اذار ١٨٠٢

بالرغم من فشل الغزو سياسياً وعسكرياً ، فانه ترك اثاراً مهمة في مصر والوطن العربي كله . فالغزو ايقظ الشعب العربي في مصر من سبات طويل قضاه في ظل السيطرة العثمانية واشعره بشخصيته المتميزة ، ونبه شعوره القومي العربي الذي تمثل بثوراته المستمرة ضد الحكم الفرنسي وقارب بين فئاته المختلفة . فكان ذلك ايذاناً بمولد الفكرة العربية | القومية في مصر .

وكان للغزو الفرنسي ، تأثير واضح في بناء المجتمع العربي في مصر واتجاهاته الفكرية التي ظهرت اثارها واضحة فيما بعد . اذ ضعضع البنيان الاجتماعي القائم انذاك ، وهز المفاهيم الفكرية والاجتماعية التقليدية الأمر الذي ادى الى فقدان ثقة المصريين بحكامهم من المماليك والعثمانيين واصبحوا فجأة مسؤولين عن الدفاع عن وطنهم . فتقاربوا تحت هدف واحد ، وهو طرد الفرنسيين من بلادهم واقامة دولتهم الحديثة الموحدة القوية والفرنسيون كمستعمرين هدفهم استغلال البلد الذي يحتلونه استغلالا كاملا وتسخير امكاناته في خدمة تطورهم الرأسمالي الانتاجي ، لذلك فان بونابرت ، كما اسلفنا . اصطحب معه عدداً من العلماء من مختلف الاختصاصات الدراسة اوضاع مصر ، لكي تنظم في ضوء دراساتهم عملية استغلال البلاد . وقد ضمت الابحاث التي اجراها هؤلاء العلماء في كتاب يتألف من (٣٧) مجلداً صدر بين سنتي ١٨٠٩ و ١٨٢٩ بعنوان وأنشأ الفرنسيون في القاهرة ، وصف مصر) . مطبعة عربية وأخرى فرنسية . كانت في أوائل المطابع التي تأسست في الوطن العربي في العصر الحديث . واصدروا جريدتين باللغة الفرنسية سنة ١٧٩٨ للدعاية ونقل الاخبار . كما عثر احد ضباط الحملة على حجر رشيد الذي نجح العالم الفرنسي شامبليون بقراءة الكتابة الموجودة عليه سنة١٨٢٢ وبذلك

حلت رموز الخط المصري القديم (الهيروغليفي) فكان لذلك اثر بالغ في الدراسات الاركيولوجية (الاثارية) فيما بعد.

يضاف الى هذا انجاز الفرنسيين الشيء الكثير في المجال الاجتماعي ، ومن ذلك اقامتهم مسرح تيفولي الكبير لتمثيل الروايات التراجيدية والكوميدية والاوبرا - كوميك. واتخذوا من ميدان الأزبكية ومنتزه تيفولي مكانا لحفلاتهم التي حرصوا على اقامتها في المناسبات المختلفة .. على ان اخطر ما كان المصريون يأخذونه عليهم أنهم بما كانوا يظهرونه من انواع الخلاعة والمجون في مهرجاناتهم وفي مراقصهم . افسدوا اخلاق البعض من الشبان وشجعوهم على الابتذال ولعل من ابرز ما تمخص عن الحملة احياء فكرة شق قناة تربط البحر المتوسط بالبحر الاحمر . ولم تتحقق الفكرة الا بعد بعد ذلك على يد رجل الاعمال الفرنسي فرديناندي ليبس DeLesseps ووسط ظروف دولية وفنية صعبة فتحت قناة السويس امام الملاحة العالمية سنة ١٨٦٩ وكان لها دورها في وضع مصر والاقطار العربية الأخرى وجها لوجه امام الحضارة الحديثة . التي ظهر ميل شديد لدى ابناء الشعب العربي للاستفادة منها والتفاعل معها .